فلسفة القرآن في الخلـــق والأسبـاب

(*)الدكتور : خالد الهادي بن محمود
WWW.K.mahmoud@asmarya.edu.ly

مقدمـــــــــة ، ، ،

جاء موضوع البحث بهذا العنوان (فلسفة القرءان في الخلق والأسباب) بناء على أثره البالغ في حياة الإنسان - أي إنسان – لأنه كائن مفكر ، عاقل ، وبما أنه مفكر فهو كثير التساؤل فإذا به دائماً يتساءل عن طبائع الأشياء وماهيتها وعن أغراضها وغاياتها وعن العلاقة القائمة بين الكون والإنسان .. هذه الأسئلة إذن لا غنى عنها في حياتنا ، بها نتجاوز الحياة المادية إلى الحياة الروحية أو العقلية ، فالإنسان لا يكتفي فقط بالمادة .. الأكل والشرب واتباع الغرائز والانقياد وراء الشهوات والملذات لأنه لو كان كذلك لانعدمت الفروق بينه وبين بقية الكائنات ، والإنسان بطبيعته كائن راقي يبحث عن السمو من خلال ما يضعه لنفسه من أخلاق وقيم ومثل عليا ومبادئ يسير عليها في حياته ليحقق ما يتطلع إليه من كمال وسمو ، والله عندما خلق الإنسان على هذا النحو لم يتركه فريسة الجهل والضلال ولم يتركه أيضاً لعقله القاصر الذي يقف عند حدود معينة بل حباه وسائل المعرفة والتفكير والتأمل والنظر وعرفه بما يريد معرفته في حدود العقل ، حيث تمثلت هدية الله في خلقه في كتابين : الكتاب الإلهي المنظور " الكـون " وكتاب الإلهي المقروء " القرءان الكريم " حيث تنظر العين في صفحات الكون العجيبة المثيرة من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، معارض شتى لألوان الجمال متناسقة متناغمة توقض القلب من غفلته ؛ ليتأمل روعة هذا الكون ويتدبر آيات الله المبثوثة في آفاقه ويلمس في هذه البدائع وتلك الآثار وحدة الحق ووحدة الناموس ووحدة اليد الصانعة المبدعة القوية القديرة .. وما نلحظه في كتابه المنظور سبحانه نجد ما يؤيده في كتابه المقروء : ((**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**)) [1] .

(*) عضو هيئة تدريس –بقسم الفلسفة - كلية الآداب – الجامعة الأسمرية الإسلامية .

1 - سورة فاطر ، الآية 27 ، 28 .

فهذه لفتة كونية رائعة تطوف الأرض كلها تتبع الألوان في كل عوالمها : في الثمرات والجبال والدواب والأنعام .. لفتته تجمع في كلمات قليلة بين الأحياء وغير الأحياء .. هذا الكتاب الكوني المنظور الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين يفتحه الكتاب الإلهي المقروء ويقلب صفحاته ويقول إن العلماء الذين يتديرونه ويجدّون في الكشف عن أسراره وإدراك قوانينه .. هم الذين يقدرون الله حق قدره ويخشونه حق خشيته . [1] .

بهذه الكلمات المختصرة لعل الرؤية أصيحت واضحة حول ما أردنا توضيحه في هذا البحث ، فالقرآن كتاب شامل وكامل فيه الحكمة التي يجب على كل إنسان طلبها والسعي وراءها ..

القرآن موسوعة كونية وكل الاكتشافات العلمية الهائلة حتى هذه اللحظة وإلى ماشاء الله أصولها في القرآن .. فالقرآن كتاب أخلاق وهناك آيات كثيرة تطالب الناس بفعل الخير والابتعاد عن الشر .. وهو كتاب غير محدد ، فيه مختلف العلوم والمعارف ولا يستطيع الباحث الإلمام بما فيه ، لذلك حاولنا في صفحات البحث الإقتصار على أهم الموضوعات التي شغلت بال الإنسان قديماً وحديثاً ، ووجدنا لها الجواب الشافي في القرآن الذي لم يترك العقل الإنساني ليضع في الوهم ويتمادى في الخطأ

التعريف بالمشكلة :-

موضوع الخلق والأسباب من الموضوعات المعقدة من الناحية الفلسفية وبالتالي رأينا من الصواب أن نبحث هذا الموضوع من منظور القرآن الكريم حتى نضع أجوبة شافية لمسائل كثيرة أهمها : بيان معنى كما جاء في فلسفة القرآن في آيات كثيرة حول " الكون والإنسان " أشهر ما كثر الخلق فيه من قبل الفلاسفة قديما وحديثاً وهذه الإشكالية تحتاج إلى دراسة .

ويعد هذا العرض السريع لما جاء في البحث أود الإشارة هنا إلى سبب اختيار هذه الموضوعات التي جاءت كعناوين لصفحات البحث دون غيرها لأنها في اعتقادي تندرج أو يمكن إدراجها تحت أصناف الحكمة – كما سنرى في الصفحات القادمة – ومنها التعقل والنظر والجدل والبحث والتأمل ، وكل ما له علاقة بإمعان العقل في ملكوت السموات والأرض .

- **أهميـة موضوع البحث وأهـــدافه** :-

نحن اليوم نحتاج إلى الفلسفة القرآنية بكل ما لها من معاني .. نحتاج إلى القرآن الكريم .. في عصر

1 - محمد سعيد رمضان البوطي- من روائع القرآن - بتصرف .

يكاد يكون عصر المادة ولا شيء غير المادة ، الأمر الذي جعل الإنسان كثير الزلل جرفه تيار المادة ، الشغل الشاغل لإنسان اليوم هو تحصيل الملذات والشهوات وطلب المادة والجري وراءها .. وهذه الأمور تحجب الحكمة والنظر والتأمل عن الإنسان .. القرآن العظيم يدعونا إلى التوسط في كل أمورنا .. هدف الإنسان في الدنيا تحقيق السعادة والقرآن يحقق لنا الساعدة في الدارين ويوضح لنا كل ما عجز العقل عن إدراكه .. إذا القرآن وما فيه من حكمة ونظر وتأمل هو الطريق الصحيح الذي يجب على الإنسان العاقل سلوكه إذا أراد الخروج من الحيرة والظلام والفوز بالسعادة في دنياه وآخرته ، وفي صفحات البحث اللاحقة سوف نتبع معاً في رحاب الكتاب العزيز أهم الموضوعات التي أراد الإنسان معرفتها والوقوف على حقيقتها .. نسأل الله التوفيق والسداد والوصول إلى المراد في هذا الجهد المعرفي المتواضع ، والذي حاولنا فيه كشف الحقائق في الموضوعات الهامة وتبين لنا بطلان بعض الآراء الفلسفية في هذه الموضوعات ، وأن ما جاء به القرآن هو الصواب بعينه واليقين الذي لا يمكن لأي إنسان – بعقله القاصر – أن يخوض فيه ويخرج عما جاء به القرآن ، في الحكمة الحقيقية إذا هي الإلتزام بالقرآن في تفسيرنا وفهمنا لموضوعات تخصنا نحن البشر ككائنات راقية ميزها الله عن بقية الكائنات وفضلها ومنحها كتابا شافيا موضح لكل ما هو غامض لا يستطيع العقل فهمه .

- **منهجيـة البحـث**:-

البحث بطبيعته يحتاج إلى المنهج التحليلي والمقارن حيث تم الحديث عن الجانب الفلسفي والجانب الديني والإحاطة بمتن الموضوع .

معنى الخلق والأسباب

"علة الشيء هي ما يتوقف وجود الشيء عليه إن كانت علة لوجوده أو عدمه" [1] ، فالسبب هو الحبل ، وما يتوصل به المقصود [2] ، والجمع أسباب ، وأسباب السماء مراقبها أو نواحيها أو أبوابها .

1د. سعيد بن منصور بن كمونة – الجديد في الحكمة – دراسة وتحقيق – حميد مرعيد الكبيسي – مطبعة جامعة بغداد – بغداد ، العراق – ط1982م- ص243 .

2علي بن محمد بن علي الجرجاني – التعريفات – ص154 .

والفرق بين السبب والشرط أن السبب هو ما يكون الشيء محتاجا إليه إما ماهيته أو في وجوده على حين أن الشرط هو ما يتوقف عليه وجود الشيء كالوضوء للصلاة . [1]

وجمع السبب أسباب وتطلق على (علة والجمع علل) وللسبب فلسفيا [2] ثلاث معان : الأول هو العامل في وجود الشيء ويطلق على كل حالـــــة نفسية شعورية كانت أو غير شعورية تؤثر في حدوث الفعل الإرادي وهو قسمان : عقلي وانفعالي ومن عادة العلماء المحدثين أو يسموا الأول باعثا والثاني دافعا . [3]

الثاني : السبب هو المبدأ الذي يفسر الشيء تفسيرا نظريا وهو ما يتوصل به إلى غيره أو هو كما قال بعض الفلاسفة ما يحتاج إليه الشيء في ماهيته أو وجوده لذلك سمي سببا عقليا أو مبدأ ومنه قولهم سبب الوجود . [4]

الثالث : السبب عند علماء الأخلاق ما يقضي إلى الفعل ويبرره وهو مرادف للحق تقول إن للقلب حقوقه أي أسبابه وتقول فلان يبغضني بغير سبب أي بغير حق . [5]

وقد يطلق السبب على الحجة التي يعتمد عليها في إثبات الحق وإن كانت غير صادقة فيكون السبب بهذا المعنى قويا أو ضعيفا ومنه قولهم : إن الأسباب التي يحتج بها الأقوياء أوقع في النفس من الأسباب التي يحتج بها الضعفاء [6] .

في الأسباب : يقول أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : قلوب العارفين يغار عليها من الأسباب وإن كانت لا تساكنها لأنها لما انفردت لمعرفتها انفرد لها بتولي أمورها فإذا تعرضت بالأسباب محي أثر الأسباب : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[7] وتأمل في حال يعقوب

1علي بن محمد علي الجرجاني - التعريفات - ص 154

2ويقسم السبب أيضا إلى تام فالسبب التام هو الذي يوجد المسبب بوجوده فقط وهو مرادف للعلة وغير التام هو الذي يتوقف وجود المسبب عليه لكن المسبب لا يوجد السبب وحده – الجرجاني – التعريفات – ص 155 .

3علي الجرجاني – التعريفات – ص 154 .

4 المرجع السابق ص 154 .

5 المرجع السابق ص 154 .

6جميل صليبا – المعجم الفلسفي – الجزء الأول – ص648- 649 .

7سورة التوبة ، الآية 25 .

وحذره على يوسف عليهما السلام حتى قال :﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[1] فقالوا : ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾[2] ، فلما جاء أوان الفرج خرج (يهوذا) بالقميص فسبقه الريح :﴿**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾[3] وكذلك قول يوسف عليه السلام للساقي : ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[4] فعوقب بأن لبث سبع سنين وإن كان يوسف عليه السلام يعلم أنه لا خلاص إلا بإذن الله وأن التعرض بالأسباب مشروع غير أن الغيرة أثرت في العقوبة ومن هذا قصة مريم عليها السلام : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [5] فغار المسبب من ساكنه لأسباب : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [6] ومن هذا القبيل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حث لا يحتسب﴾ والأسباب طريق ولابد من سلوكها والعارف لا يساكنها غير أنه يجلي له من أمرها مالا يجلي لغيره من أنها لا تساكن وربما عوقب إن مال إليها وإن كان ميلا لا يقبله غير أن أقل الهفوات يوجب الأدب وتأمل عقبى سليمان عليه السلام لما قال : لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما ولم يقل : إن شاء الله ، فما حملت إلا واحدة جاءت بشق غلام [7].

الخلق :

خلق الله العالم صنعه وأبدعه ويقال خلق فلان الشيء أبدعه وخلق القول إفتراه، وفي القرآن الكريم : ﴿**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾ [8] والخلق أيضا التقدير بمعنى المساواة بين الشيئين يقال : خلقت النعل إذا قدرته قبل أن أقطعه فأطلق على إيجاد شيء على مقدار شيء سبق له الوجود . والخلق أيضا مخلوق ويطلق على الجمع ومنه الخليقة وهي الطبيعة أو ما خلقه الله ، تقول إن الإنسان هو سيد الخليقة .. والخلق هو الإيجاد وقد يكون من مواده مخصوصة وصور وأشكال معينة كخلق الأشياء الصناعية ..

1سورة يوسف ، الآية 13.

2 سورة يوسف ، الآية 17.

3 سورة يوسف ، الآية 94.

4 سورة يوسف ، الآية 42.

5 سورة آل عمران ، الآية 37.

6 سورة آل عمران ، الآية

7 الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – صيد الخاطر – ص108

8 سورة العنكبوت ، الآية 16 .

وليس الخلق الذي هو إيجاد الشيء من لا شيء اللّه تعالى ويطلق عليه اسم الإبداع.[1]

وجملة القول أن للخلق معنيين : الأول : هو إحداث شيء جديد من مواد موجودة سابقا كخلق الأثر الفني أو خلق الصور الخيالية . والثاني : هو الخلق المطلق وهو صفة اللّه تعالى لأنه تعالى موجود مبق وإبقاؤه مساو لإيجاده يحدث العالم بإرادته ويبقيه بإرادته ولو لم يرد بقاءه لبطل وجوده ، فإن كان العالم باقيا فمرد ذلك إلى أن اللّه يديم وجوده وهذا مايسميه ديكارت بالخلق الدائم أو الإبداع الدائم[2] .

جاء على لسان الغزالي : " الخلق اسم مشترك فقد خلق لإفادة وجود كيف كان وقد يقال خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان وقد يقال خلق لهذا المعنى الثاني ، لكن بطريق الاختراع من غير سبق مادة فيها قوة وجوده وإمكانه "[3] ، وهذا الأخير يفيد الخلق من العدم الذي أخذ به الغزالي ، حيث يرفض القول بقدم العالم .

والخلق المستمر هو حفظ اللّه للعالم في كل آن : أي حفظ إدامة وجود الشيء الذي ليس له وجود بذاته إدامة لا تتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع ، وخلق من عدم : إيجاد الشيء من العدم[4] .

الخلق والإبداع والتدبير :

يقول الشيخ أحمد المعروف بشاة ولي اللّه بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي : اعلم أن اللّه تعالى بالنسبة إلى إيجاد العالم ثلاث صفات مترتبة : أحدها : الإبداع : وهو إيجاد شيء لا من شيء فيخرج الشيء من كنتم العدم بغير مادة : وسئل رسول اللّه ﷺ عن أول هذا الأمر ؟ فقال : ﴿ كان اللّه ولم يكن شيء قبله ﴾ والثانية : الخلق : وهو إيجاد الشيء من شيء كما : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ❖ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾[5] .

---

1 د. جميل صليبا – المعجم الفلسفي – الجزء الأول – ص541 .

2 الإبداع الدائم : هو عند الفلاسفة الأصوليين والديكارتيين الفعل الذي به اللّه العالم وهو عين الفعل الذي يخرجه به من العدم إلى الوجود فاللّه إذن مبدع ومبق لأنه إذا قبض جوده بطلب الموجودات كلها دفعة واحدة وهذا أيضا يقابل التأليف لأن التأليف باق وإن أمسك المؤلف تأليفه أما الإبداع فهو إيجاد وإبقاء .

3 الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي – معيار العلم في فن المنطق – دار الأندلس – بيروت ، لبنان – ط 3 ، 1981م – ص 214 .

4 د. مرادة وهبة – المعجم الفلسفي –ص 187، 188.

5 سورة الرحمن الآيتان 14، 15 .

وقد دل العقل والنقل على أن الله تعالى خلق العالم أنواعا وأجناسا وجعل لكل نوع وجنس خواص فنوع الإنسان مثلا خاصته النطق وظهور البشرة واستواء القامة وفهم الخطاب ، ونوع الفرس خاصته الصهيل وكون بشرته شعراء وقامته عوجاء وألا يفهم الخطاب وخاصة السم إهلاك من يتناوله .. وعلى هذا القياس جميع الأنواع من المعدن والنبات والحيوان وجرت عادة الله تعالى ألا تنفك الخواص عما جعلت خواص لها – بتقدير الله لا بطبيعة الأشياء – وأن تكون مشخصات الأفراد خصوصا في تلك الخواص وتعينا لبعض محتملاتها ، فكذلك مميزات الأنواع خصوصا في خواص أجناسها وان تكون معاني هذه الأسامي المترتبة في العموم والخصوص كالجسم والنامي والحيوان والإنسان وهذا الشخص متمازجة متشابكة في الظاهر ثم يدرك العقل الفرق بينهما ويضيف كل خاصة إلى ماهي خاصة له .. والثالثة : تدبير عالم المواليد : ومرجعه إلى تصيير حوادثها موافقة للنظام الذي ترتضيه حكمته مفضية إلى المصلحة التي اقتضاها وجوده كما أنزل من السحاب مطرا وأنبت به نبات الأرض ليأكل منه الناس والأنعام ليكون سببا لحياتهم إلى أجل معلوم وكما أن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار فجعلها الله بردا و سلاما ليبقى حيا ، وكما أن أيوب عليه السلام كان اجتمع في بدنه مادة المرض فأنشأ الله عينا فيها شفاء مرضه [1].

فلكل شيء سبب ما في ذلك خلاف ولكن ما هو السبب ؟ هل هو موجد الشيء الذي خلقه ولولاه لم يخلق ؟ أو هو حادث سابق للشيء أو مقترن به يلازمه كلما حدث على نسق واحد ؟ أما أن السبب هو موجد الشيء فيمنعه في العقل اعتراضات قوية فكل ما يقرره العقل أن سبب الشيء يسبقه أو يقترن به كلما حدث على نسق واحد ولن السبق لا يلزم الإيجاد . فالعقل ينتهي في مسألة الأسباب إلى نتيجة واحدة تصح عنده بعد كل نتيجة : وهي أن الأسباب ليست هي موجودات الحوادث ولا هي مقدمة عليها بقوة تخصها دون سائر الموجودات ولكنها مقارنات تصاحبها ولا تغني عن تقدير المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع الكائنات [2].

وهذا هو حكم القرآن الكريم : هناك سنة في الطبيعة : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾ [3] وقال تعالى : ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)﴾ [1] أي لن تجد لها

1الإمام الشيخ أحمد بشاه ولي الله بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي – حجة الله البالغة – الجزء الأول – ص33- 3.

2 د. عباس محمود العقاد – الفلسفة القرآنية – ص 13 - 15 اقتباس .

3 سورة الأحزاب ، الآية 62.

تبـــديلا أو تغـــييرا [2]،ولكـــن الخلـــق كلـــه مرجعـــه إلى إرادة الله أو إلى كلمـــة الله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [3]، وقال الحق تعالى : ﴿سُبْحَانَهُ ۖ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)[4]﴾، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)﴾ [5]،أي لا يحتاج الأمر إلى كبير جهد وعناء فإنا نقول للشيء كن فيكون قال المفسرون هذا تقريب للأذهان والحقيقة أنه تعالى لو أراد شيئا لكان بغير احتياج إلى لفظ (كن) [6].

وتقرر في كتاب الله الخالد أن كل شيء في السماء والأرض بإذن الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾ [7] وقال تعالى :﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ [9] وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [10] فالحوادث كلها كبيرها وصغيرها لا يمكن أن تحدث إلا بأمر الخلق المباشر من إرادة الله . فلا تحدث الحادثة بفعل الأسباب ثم بفعل الإرادة الإلهية بل تتوقف كلها في بادئ الأمر على إرادة الخلق والإنشاء [11]. وما ينطبق على المشاهدات المتكررة في كل لحظة ينطبق أيضا على المعجزات لأنه لا دخل للأسباب في ذلك بل إرادة الله بالدرجة الأولى . وقد أشار القرآن إلى الخوارق من باب الإعجاز أو من باب السحر فردها كلها إلى السبب الأخير الذي

---

1 سورة الإسراء ، الآية 77.

2 محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – ج2 –ص171.

3 سورة يس ، الآية 82.

4 سورة مريم ، الآية 35.

5 سورة النحل ، الآية 40

6 محمد الصابوني – صفوة التفاسير – ج2 –ص127

7 سورة الأعراف ، الآية57.

8 سورة الأعراف ، الآية 58.

9 سورة سبأ ، الآية 3.

10 سورة آل عمران ، الآية 145.

11 عباس محمود العقاد – الفلسفة القرآنية –ص16

ترد إليه جميع الأسباب وهو إرادة الخالق أو إذن الله : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [2] .

الخلق في القرآن :

وردت كلمة الخلق العربية في القرآن :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِوَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ [3] ،

وفي قوله تعالى :

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ [4]، وفي قوله تعالى :﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [5] وفي قوله تعالى :

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [6] كل هذه الآيات وغيرها للدلالة على قدرة الله في الخلق وهي لا تشمل الخلق الأول من العدم فحسب بل تشمل كذلك خلق العالم ، والإنسان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون ونجد من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم (الخالق) :﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ [7]، وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [8] ، وفي غيرها من الآيات والخلاق : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦)﴾ [1]

---

1 سورة آل عمران ، الآية 49.

2 سورة البقرة ، الآية 102 .

3 سورة البقرة ، الآية 164.

4 سورة غافر، الآية 57.

5 سورة غافر، الآية 62.

6 سورة الملك ، الآية 3.

7 سورة الحشر ، الآية24.

8 سورة الأنعام ، الآية 102.

وقوله تعالى : ﴿وهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [2] والباريء والمصور : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [3] كما تستعمل أسماء مثل (القادر والعليم) للدلالة على الخالق أيضا :

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾ [5].

خلق الكون في القرآن :

يتجلى ذلك في مراحل الخلق فهو يحدث من الأسفل إلى الأعلى وقد تم خلق العالم في ست أيام : الأرض في يومين وكل ما عليها في يومين آخرين والسماوات السبع في اليومين الآخرين ، وقد نص القرآن صراحة على أن الله بديع السماوات والأرض : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [6] ، وأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن ذلك سر خفي عليهم : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ [7] ، أي أن الأرض والسماوات خلقت من العدم أما الإنسان فقد

خلق من تراب [8]. قال تعالى: ﴿ إِنّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [9] ، وفي قوله تعالى :﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [10]

وقال تعالى :

﴿ ،أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ [11] وفي الآيات الكريمة التالية يبين الله عز

---

1 سورة الحجر ، الآية 86.

2 سورة يس ، الآية 81.

3 سورة الحشر ، الآية 24.

4 سورة الأنعام ، الآية 101.

5 سورة يس ، الآية 79 .

6 سورة الأنعام ، الآية 101.

7 سورة غافر الآية 57.

8 أحمد الشنتناوي وآخرون – دار المعارف الإسلامية – ج8- ص 411.

9 سورة الأعراف ، الآية 54.

10 سورة الفرقان ، الآية 59 .

11 سورة نوح ، الآيتان 15- 16.

وجـل طريقـة خلـق الكـون مخاطبـا محمـد ﷺ ، قـال تعـالى :﴿ قُـلْ أَئِـنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) [1] .ويقول تعالى في موضع آخر من الكتاب العزيز : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨)﴾ [2] ، وها هو ترتيبا واضحا لجزء من قصة الخلق : ﴿أَأَنْتُم أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَناهَا❖ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا❖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا❖ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا❖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا❖ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا❖ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾ [5] .خلق الله الأرض وثبت عليها الجبال حتى لا تهتز وجعل فيها مسالك وطرق لهدايتهم إلى مقاصدهم في الأسفار ، ثم جعل الله السماء سقفا للأرض كالسقف للبيت محفوظا من السقوط والانهيار ، وهو الذي خلق الليل وخلق النهار وخلق الشمس وخلق القمر وجعل كلا منها يسير في مداره الخاص لا يحيد عنه أبدا .... وهنا يبين اله لنا أن الأرض خلقت قبل السماء فهي كالأساس بالنسبة وركيزة له وقرار مكين [6] . قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ

---

1 سورة فصلت ، الآيات9- 12

2 سورة ق، الآية38.

3 سورة النازعات ، الآيات 27- 33.

4 سورة الأنبياء ، الآية 30 .

5 سورة الأنبياء ، الآيات 31- 33.

6 فوزي محمد حميد – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – الطبعة الثانية ، 1999 ف – طرابلس ، ليبيا – ص38 .

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [1] فتفكروا في خلق الله يا بني البشر واعلموا أن الله على كل شيء قدير .

قال تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [2] فهو الذي جعل الأرض ممهدة وثبتها كما تثبت الخيام بالأوتاد حتى لا تهتز ولا تميد وهو الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨)﴾ [3] ، ويؤكد سبحانه وتعالى هذه الفكرة في أكثر من موضع في القرآن ، حيث قال : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ [4]، فبقدرة الله تبنى السماء بشكل هندسي بديع فهو بوسعها كلما زاد الارتفاع والسمو حتى السماء السابعة أوسع السماوات : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ(٣)﴾ [5]، ومن قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)﴾ [6]. بمعنى بسطها فالله تعالى يخبر عن خلق السماوات وعظمة اتساعها وارتفاعها وجمالها فهي في غاية الحسن والبهاء والكمال .. قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧)﴾ [7]. أي ذات الطرائق المحكمة والبنيان المتقن ذات الخلق الحسن المستوي [8] . وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ [9] يخاطب الله تعالى كفار مكة بان انظروا إلى آيات الله في خلق الإبل وهو بينكم ورفع السماء فوقكم بغير عمد

---

1 سورة غافر ، الآية 64.

2 سورة النمل ، الآية 88.

3 سورة النبأ ، الآيات 6- 8 .

4 سورة الذاريات ، الآيات 47- 49.

5 سورة الملك ، الآية 3

6 سورة الشمس ، الآيتان 5- 6 .

7 سورة الذاريات ، الآية 7.

8 محمد الصابوني – صفوة التفاسير – ج3 –ص 251 .

9 سورة الغاشية ، الآيات 17- 20.

، ونصب الجبال من حولكم وبسط الأرض من تحتكم : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [1] .

إننا لا نجد في القرآن ما يناقض النظريات العلمية الحديثة فالقرآن ليس كتابا متخصصا في علم معين إنما لم يغفل موضوعا ما من الذكر .. فبحث في الفلك وبحث في الطب والتاريخ والجغرافية والأخلاق والسياسة ولكن دون تخصص وق أورد في كل منها العديد من الآيات منها ما عرفه الإنسان ومنها مالم يعرفه ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [2] في الآفاق أي في أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والنبات وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية (وفي أنفسهم) أي عجائب قدرة الله في خلقهم وتكوينهم وما فيه من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في عيني الإنسان اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه كل هذا يظهر لهم أن القرآن حق [3] من كل ما سبق يتضح لنا :

إن الخلق عموما تم على ست مراحل ؛ تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض ، خلق الكون ابتداء من كتلة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تجزأت فيما بعد ، تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض [4] ، قال تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦)﴾ [5]، ولنذكر دائما قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ [6] أي وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا شيئا قليلا لأن علمكم قليل بالنظر إلى علم الله [7].

ومن خلال تتبعنا لخلق لكون في القرآن يمكن لنا أن نخرج بما يلي :

---

1 سورة الحج ، الآية 65.

2 سورة فصلت ، الآية 53.

3 محمد الصابوني – صفوة التفاسير – ج3 –ص129

4 فوزي محمد حميد – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة –ص43,44.

5 سورة طه ، الآية 6.

6 سورة الإسراء ، الآية 85.

7 محمد الصابوني – صفوة التفاسير –ج2 –ص173 .

- **الكـــون لـــيس أزليـــا** : فللكـــون بدايـــة : ﴿ أَوَلَـــمْ يَـــرَ الَّـــذِينَ كَفَـــرُوا أَنَّ السَّـــمَاوَاتِ وَالْـأَرْضَ كَانَتَـا رَتْقًـا فَفَتَقْنَاهُمَـا ﴾ [1].. وللكـون نهايـة : فكمـا ثبـت علميـا بـأن للكـون بدايـة فستكون له نهاية إلا أن علماء الكونية لم يتوصلوا بعد إلى حقائق ثابتة بما يخص نهاية الكـون أمـــا في التنزيـــل فـــالكون ســـيعود كمـــا بـــدأ كتلـــة مجتمعـــة مـــن قولـــه تعـــالى : ﴿يَـوْمَ نَطْـوِي السَّـمَاءَ كَطَـيِّ السِّـجِلِّ لِلْكُتُـبِ كَمَـا بَـدَأْنَا أَوَّلَ خَلْـقٍ نُعِيـدُهُ ۚ وَعْـدًا عَلَيْنَـا إِنَّـا كُنَّـا فَـاعِلِينَ (١٠٤)﴾ [2]، وقولـه تعـالى :﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللَّـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالْـأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [3].
- **الكون يتوسع** : هذه مسلمة علمية منذ النصف الأول من القرن العشرين وقد أشار القرآن إليها بقوله :﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)﴾ [4].
- **نشأة الكون** : أنبأ القرآن بأن الإنسان سيعلم النشأة الأولى للأشياء يوم لم يكن الإنسان يعرف شيئا يذكر عن هذه النشأة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ [5]، ومنذ القرن الثامن عشر وحتى اليوم بدأ العلم يكشف مكونات الأشياء كما أنبأ القرآن بأن للذرة وزنا وبأنه توجد أشياء أصغر من الذرة لها وزن واكتشف الإنسان منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم الذرة وجزيئات الذرة ووجد لبعضها وزنا وسيجد لاحقا بأن لكل جزء منها وزنا : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ [6] ، كما أن هناك أشياء مرئية وغير مرئية : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩)﴾ [7] ،

ومنذ القرن السابع عشر وحتى اليوم لا يزال العلم يكتشف قوى مرئية وغير مرئية [8] .

---

1 سورة الأنبياء ، الآية30.

2 سورة الأنبياء ، الآية 104.

3 سورة الزمر ، الآية 67.

4 سورة الذاريات ، الآية47.

5 سورة الواقعة ، الآية 62.

6 سورة سبأ، الآية 3.

7 سورة الحاقة ، الآيتان 38- 39.

8 د. عدنان الشريف – من علم الفلك القرآني – دار العلم للملايين – بيروت – ط1991 ف –ص 165,164 .

- أنبأ القرآن بأن خلق السماوات سابق على خلق الأرض وأن خلق الظلام سابق على خلق النور : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠)﴾ [2]. وهذا ما اكتشفه الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين . [3].
- أنبأ القرآن بأن الكون يتجدد ويرجع الأشياء التي يتألف منها إلى ما كانت عليه : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [4]، وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١)﴾ [5]، ومنذ القرن العشرين اكتشف الإنسان دورة التجدد في المخلوقات فكل شيء في الكون يولد ويكبر ويموت ثم يعاود الكرة . [6]
- أنبأ القرآن بأن النجوم ليست خالدة بل ستموت : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)﴾ [7]، وقد اكتشف العلم في القرن العشرين أن كل نجم له دورة حياتية :ولادة ونمو وهرم وفناء . [8]
- أنبأ القرآن بأن الإنسان سينفذ من أقطار السماوات والأرض إلا أن نفاذه سيبقى محدود ولن ينتصر انتصارا كاملا في نفاذه هذا : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥)﴾ [9] . ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين نفذ الإنسان من أقطار السماوات والأرض ولم يبلغ النهاية . [10]

---

1 سورة الأنعام ، الآية 1.

2 سورة النازعات ، الآيات 27- 30.

3 عدنان الشريف – علم الفلك القرآني- ص 165

4 سورة العنكبوت ، الآية19.

5 سورة الطارق ، الآية 11.

6 عدنان الشريف –علم الفلك القرآني - 165

7 سورة النجم ، الآية 1.

8 عدنان الشريف –علم الفلك القرآني - 165

9 سورة الرحمن ، الآيات33- 35 .

10 عدنان الشريف –علم الفلك القرآني - 166

فعلام يدل ذلك ؟ إنه يدل على أن القرآن كتاب شامل لا يقتصر على عصر أو مكان معين ... إنه يدل على أن كل علم موجود في هذا الكتاب .... [1].

- أقسم المولى بأن الإنسان سيركب طبقا عن طبق ولقد انتقل الإنسان من طبق الأرض إلى طبق القمر عام 1969 ف والعلماء يخططون منذ سنوات الانتقال إلى أطباق أخرى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19) ﴾ [2]
- أقسم المولى بأن في السماء طرائق وأن لها أبوابا وقد وجد الإنسان خلال اكتشافه للفضاء بأنه لا يستطيع النفاذ من الأرض والعودة إليها من خلال أبواب وطرائق في السماء ووجد أيضا بأن هـــذه الطرائـــق متعرجـــة : ﴿وَالسَّـــمَاءِ ذَاتِ الْحُبُـــكِ (٧)﴾ [3] ، وقولـــه تعـــالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤)﴾ [4].
- حدد القرآن بأن الشمس هي جرم مشتعل وأن القمر جرد بارد وفرق بين الضوء المتأتي من ذات الشمس والنور المنعكس من سطح القمر : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ [5]. وقوله تعالى :﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ [6].وهذه الحقيقة التي تبدوا بديهية اليوم لم يعرفها العلم إلا منذ القرن التاسع عشر . [7]
- حدد القرآن بأن النظام الذي تقوم عليه الشمس والقمر هو نظام حسابي ذلك ما لاحظه الإنسان منذ القدم ولا يزال : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)﴾ [8].
- رمز القرآن إلى حركات الأرض المختلفة بعشرات الآيات الكريمة في حين ظل الناس يعتقدون حتى القرن السادس عشر بأن الأرض ثابتة أما التنزيل فقد جعل الأرض وجميع الأجرام السماوية متحركة : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [1] .

---

1 عدنان الشريف – علم الفلك القرآني –ص166,165 .

2 سورة الإنشقاق ، الآيات 16- 19.

3 سورة الذاريات ، الآية 7.

4 سورة الحجر ، الآية 14.

5 سورة يونس ، الآية 5.

6 سورة نوح ، الآية 16.

7 عدنان الشريف –علم الفلك القرآني - 166

8 سورة الرحمن ، الآية 5.

- أشار القرآن إلى نسبة الزمن وعلاقته بالمكان والسرعة : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)﴾ [2] . وقوله تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)﴾ [3]، وقوله تعالى :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨)﴾ [4].
- أنبأ القرآن بأن هناك أحياء في غير كوكب الأرض وسيكتشف الإنسان لاحقا هذه المسلمة القرآنية : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) [5].

فلعلماء الفلك الخير الكثير في القرآن الذي قدم لهم كل ما وصلوا إليه منذ القدم وحتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله فكل اكتشاف يرونه جديد يجدونه في القرآن الكريم موضحا ومفصلا [6].

إن مسألة خلق الكون وبدء الحياة وظهور الموجودات من أدق المسائل التي تناولها العقل البشري وكثر فيها الكلام إلا أن القول الفصل في هذه المسألة جاء به الكتاب الخالد : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾ [7] هذا القول منزل في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا ريب فيه ولا شك فالإيمان مطلق بأن قوة عليا خفية تسيطر على كل الأشياء من أصغرها إلى أكبرها ومن الذرة إلى المجرة .. فكل ما قيل في تفسير نشأة الكون خارج ما جاء في القرآن تداعى أمام حقائق العلم الحديث وأصبح مجرد حكاية لتسلية أو حديث لاستغراب وحل ما جاء به القرآن في هذا المجال محل الأسطورة والخيال فالعلم مهما تقدم فإنه لم يسبق القرآن في شيء [8] .

---

1 سورة يس ، الآية 40.

2 سورة المعارج ، الآية 4.

3 سورة السجدة ، الآية 5.

4 سورة ق، الآية 38.

5 سورة الشورى ، الآية 29.

6 عدنان الشريف – علم الفلك القرآني –ص 167.

7 سورة الزمر ، الآية 62.

8 فوزي حميد – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – ص 19- 20.

خلق الإنسان في القرآن :

إن الحياة خلقت على سطح الأرض منذ أن نشأت وتكونت وبعد أن تبردت وهطلت عليها المياه مدرارا فكانت أولا النبات ثم الحيوانات ثم الإنسان وهو قمة المخلوقات وأرقاها ، وقد ورد في القرآن الكريم أن المياه هي المصدر الرئيسي للحياة وهي سبب نمو كل النباتات بأنواعها وأشكالها ، وخلق كذلك الحيوانات وكل ما دب على الأرض [1] ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [2] وقال جل شأنه : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)﴾ [3].

تجلت قدرة الله الخالق الذي أخرج من النباتات أزواجا لتكون قادرة على استمرار الحياة والتجديد، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ [4]، وأما عن الإنسان فقد فسر لنا القرآن المراحل التي تم فيها خلق الإنسان منذ عهد آدم عليه السلام وتناسل أولاده من بعده ، وامتلاء الكون بشرا فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢)﴾ [5] خلق الجنس البشري من صفوة وخلاصة استلت من الطين [6] ، وقال أيضا : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾ [7] أي الذي أوجدك من العدم فجعلك سويا سالم الأعضاء تسمع وتعقل وتبصر وجعلك معتدل القامة منتصبا في أحسن الهيئات والأشكال وركبك في صورة حسنة ولم يجعلك في الشكل كالبهيمة [8]. كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾ [9] أي لقد خلقنا جنس الإنسان في أحسن شكل متصفا بأجمل وأكمل الصفات من حسن الصورة وانتصاب القامة

1 فوزي حميد – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – ص 52.
2 سورة الأنبياء ، الآية 30.
3 سورة طه ، الآية 53.
4 سورة النور ، الآية45.
5 سورة المؤمنون ، الآية12.
6 محمد علي الصابوني صفرة التفاسير – ج2 – ص 304 .
7 سورة الإنفطار ، الآيتان 7- 8.
8 الصابوني – ج3 –ص 528.
9 سورة التين ، الآية 4.

وتناسب الأعضاء مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والنطق والأدب [1] ، قال تعالى :﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [2].

بدأ الله خلق الإنسان من نطفة :

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾ [3] أي خلق هذا الإنسان البديع الشكل الذي هو أشرف المخلوقات من العلقة – وهي الدودة الصغيرة – وقد أثبت الطب الحديث أن المني الذي خلق منه الإنسان محتو على حيوانات وديدان لا ترى بالعين المجردة وإنما ترى بالمجهر الدقيق تعالى:﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ [4] أي وقد خلقكم في أطوار مختلفة وأدوار متباينة طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة إلى سائر الأحوال العجيبة فتبارك الله أحسن الخالقين [5] ، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [6] أي خلقنا أصلكم (آدم) من التراب ومن در على خلقكم أول مرة قادر على أن يعيدكم ثاني مرة ، ثم جعلنا نسله من المني ثم من علقة [7]، ويخبرنا القرآن الكريم بكيفية تطور الجنين في الرحم ومراحل الخلق والتكوين ، وهو ما أثبته العلم الحديث قال تعالى : ﴿ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [8] أي ثم صيرنا هذه النطفة – وهي الماء الدافق – دما جامدا يشبه العلقة وجعلنا ذلك الدم الجامد مضغة أي قطعة لحم لا شكل لها ولا تخطيط ، ثم صيرنا قطعة اللحم عظاما صلبة لتكون عمودا للبدن وسترنا العظام باللحم وجعلناه كالكسوة لها [9] ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٤)﴾ [10]، أي نفخنا فيه من روحنا فصيرناه خلقا في أحسن تقويم . معنى ذلك أن الخلق يتم على المراحل التالية : النطفة والعلقة والمضغة والعظام

---

1 الصابوني – ج3 –ص 578.
2 سورة التغابن ، الآية 3.
3 سورة العلق ، الآية 2.
4 سورة نوح ، الآية 14 .
5 الصابوني – ج3 –ص 582.
6 سورة الحج ، الآية 5.
7 الصابوني – ج2 – ص 281 .
8 سورة المؤمنون ، الآية14.
9 الصابوني – ج2 –ص 304 .
10 سورة المؤمنون ، الآية 14.

واللحم ، ثم نفخ الروح فيه [1]. كما أن بعث الموتى يوم الدين إنما هو خلق جديد ليس بأعجب من الخلق الأول :﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)﴾ [2]، كيف تجحدون الخالق وتنكرون الصانع وقد كنتم في العدم نطفا في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات فأخرجكم إلى الدنيا ، ثم يميتكم عند انقضاء الآجال ثم يحييكم بالبعث من القبور ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء يوم النشور [3] ، وتتضح أهمية خلق الإنسان منذ بدأ النبي ﷺ يبلغ رسالته : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ [4] التي تعد بصفة عامة أول ما نزل من الوحي باسم ربه﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾ [5]وهو الذي خلق الإنسان كل ما في الأرض:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [6].

وإذا نظرنا إلى المصدر الأول للإسلام وهو القرآن كتاب الله وتدبرنا آياته وتأملنا موضوعاته واهتماماته لأتضح لنا أنه كتاب الإنسان فالقرآن كله إما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنسان فكلمة إنسان تكررت في القرآن ثلاث وستون مرة فضلا عن ذكره بألفاظ أخرى مثل بني آدم التي ذكرت مرات وكلمة الناس التي تكررت مئتان وأربعون مرة ، وخير دليل على اهتمام القرآن بالإنسان أنه تحدث أول ما تحدث عن الإنسان : ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [7] ، هذه الآيات تعبر عن نظرة الإسلام إلى الإنسان وعلاقته بالله وعلاقة الله تعالى به فالقراءة رمز لكل عمل نافع يقوم به الإنسان فالله بالنسبة إلى الإنسان معلم والإنسان متعلم استعداد للتعلم بالقراءة والكتابة بالقلم [8].

---

1 فوزي حميد – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة –ص 53 .

2 سورة البقرة ، الآية 28.

3 الصابوني – ج1 –ص 45 .

4 سورة العلق ، الآية 1.

5 سورة العلق ، الآية 2.

6 سورة البقرة ، الآية29 .

7 سورة العلق ، الآيات 1- 5 .

8 د. يوسف القرضاوي – الخصائص العامة للإسلام – مكتبة وهبة – القاهرة ، مصر – الطبعة الخامسة 1999ف –ص 59- 60 .

فخلق الإنسان من طين على شكل متميز يدل على عظمة الخالق وكما قدرته ويذكر الإنسان منذ بداية تكوينه بنعم الله التي لا تحصى عليه وبالعلاقة التي تربط بينه وبين البيئة المحيطة به وفي القرآن العديد من الآيات التي تحثنا عن قصة خلق الإنسان ، إليك بعضها – لإضافة إلى ما ذكرناه منها في الصفحات السابقة : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [1] وقوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [3] ، وقوله تعالى :﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِمِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)﴾ [5]، وقوله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾ [6] ومهما كانت دقة خلق الإنسان فإنها لا تعد شيئا بالنسبة لقدرة الله وإرادته وبالنسبة لخلق السماوات والأرض كما تعبر بذلك الآيات الكثيرة من القرآن التي من بينها : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)﴾ [7] وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [8] وما يجري مجراها كثير من الآيات التي تدل على أن خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض وما بينهما إنما يحدث بإرادة الله وقدرته وأمره [9] .

---

1 سورة فاطر ، الآية 11.

2 سورة آل عمران ، الآية59 .

3 سورة الأنعام ، الآية2.

4 سورة السجدة ، الآيات 7- 9.

5 سورة الصافات ، الآية 11.

6 سورة الطارق ، الآيات 5- 7 .

7 سورة البقرة ، الآية 117.

8 سورة فاطر ، الآية 44.

9 د. عمر محمد التومي الشيبانب – مقدمة في الفلسفة الإسلامية – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ليبيا – الطبعة الثالثة 1982 ف –ص 98 ، ص 101 .

ذكر الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من طين وخلق الجان من نار وقد بين ذلك في أصل الخليفة ، وقد ذكر الله تعالى في آيات وسور مختلفة وكلها سيقت بالبيان المتناسق في موضعها وموضوعها – كما رأينا ذلك – والآن نقف أمام هذا النص القرآني لنتبين منه عدة حقائق :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)وَقُلْنَايَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)﴾ [1].

نستنتج من هذا النص ثلاث حقائق كانت مع الإنسان :

الأولى: أنه أوتي استعدادا لعلم الأشياء، أي علم الكون وما فيه لأن الله تعالى سخرها له ولا يتحقق ذلك التسخير إلا إذا أودع الله تعالى نفسه القدرة على العلم بها ، ولذلك أنبأ الملائكة بأسمائها [2] ، وفي هذا النص إشارة إلى أن الله قد خص آدم بالخلافة، وخصه بعلم غزير وكرمه عندما أمر الملائكة بالسجود له وهذا تشريف وتكريم للنوع الإنساني يتمثل في أصل البشر آدم [3].

1 سورة البقرة ، الآيات30 – 36 .

2 الإمام محمد أبو زهرة – المعجزة الكبرى ؛ القرآن : نزوله ، كتابته ، جمعه ، إعجازه ، جدله ، علومه ، تفسيره ، حكم الفناء به – دار الفكر العربي – 1970 ف – ص 476- 477 .

3 الصابوني – ج1 – ص 50 .

الثانية : أن في طبيعة الإنسان الاستعداد للإغراء ومن هذه الناحية جاء إبليس فأغرى أبوي الإنسان بالأكل من الشجرة وقد نهاهما الله تعالى ولكنهما تحت تأثير ذلك الإغراء نسبيا نهي الله كما قال في وصف آدم أبي الخليقة :

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾ [1].

الثالثة : أن آدم نزل هذه الأرض وقد تلا كلمات الله تعالى ليكون مثالا للفضيلة ويستمسك بها ولكن كان معه في الأرض إبليس يغري ذرية آدم ويغويها كما قال الله تعالى عنه :﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾ [2] بعد غواية إبليس الأبوي البشر بدأت الحياة على سطح الأرض بآدم وحواء وإبليس وهو العدو ، ولهم في الدنيا موضع استقرار بالإقامة فيها والتمتع بنعيمها إلى وقت انقضاء آجالكم [3].

واضح من هذا النص القرآني قصة خلق الإنسان وكيفية وجوده في هذه البسيطة وواضح أيضا أن الدنيا ليست هي كل شيء من قوله تعالى : ﴿إلى حين﴾ فانقضاء الآجال أكيد في هذه الحياة ، والأكثر تأكيدا منه العودة إلى الحياة في الدار الآخرة والقرآن الكريم مليء بالقصص والعبر والدروس في شتى فروع المعرفة فإذا ما احتاج الواحد منا إلى إرواء ضمأه في مجال معرفي معين فعليه العودة إلى كتاب الله .. كتاب الدين والدنيا .. وسيجد فيه مبتغاه بإذن الله ... ينظر فيه بتمعن وروية بتأمل وتفكير .. هذا الكتاب الذي طالما خاطب العقول والفطر السليمة . وفي هذا الفصل اقتصرنا على نماذج فقط من الآيات التي تبين كيفية الخلق .. خلق كل شيء في الكون وما فيه من نبات وحيوان وانتهاء بخلق الإنسان الذي يعد في حد ذاته بابا للنظر والتأمل نخلص من خلاله إلى عظمة المبدع المدبر الخالق ...

1 سورة طه ، الآية 115

2 سورة ص ، الآيتان 83/82

3 الصابوني –ج1 –ص 51 .

الخاتمـــــة

كانت الفلسفة قديما تعني حب الحكمة ، وكذلك في العصور اللاحقة أي حب المعرفة والتأمل والبحث ، عندما نقول الفلسفة القرآنية فهذا يعني الموضوعات الفلسفية وكيفية معالجة القرآن لها ، إذًا كل ما أشرنا إليه في البحث عبارة عن موضوعات فلسفية تناولها الفلاسفة قديما وحديثا ، وهذا لم يجد اهتماماً في الدراسة لأن هناك دراسات عديدة تناولت آراء الفلاسفة في هذه الموضوعات لكننا عالجنا الموضوع من جهة أخرى في كيفية تناول القرآن لهذه الموضوعات الفلسفية ، والتي يمكن إدراجها تحت ما يعرف بالفلسفة القرآنية ، ومن خلال هذه يمكننا الوقوف على بعض النتائج والتوصيات :

أولاً : هدف الفلسفة هو البحث عن الحقيقة ، لكن لا يوجد أساس متين ينطلق منه الباحث في فهم هذه الموضوعات ، ومن ثم يصبح عرضة للوقوع في الخطأ والوهم ويضيع في متاهات تبعده عن اليقين .

ثانياً : القرآن فيه نقطة البداية أو الإنطلاق لفهم الموضوعات ، حيث يفتح الطريق إلى البحث ويحول دون الوقوع في الخطأ في الأشياء التي يعجز العقل الإنساني عن النظر فيها أو الآفاق التي لا يستطيع تجاوزها .

ثالثاً : الإنسان لم يحصل من العلم إلا النزر اليسير مقارنة بما يوجد في الكتاب المبين بدليل أن كل اكتشاف علمي يكتشفه الإنسان اليوم حتماً سوف يجد من آيات الكتاب المنير ما يفسر به ذلك الإكتشاف .

رابعاً : هناك فلسفات روحية تناشد فقط الجانب الروحي في الإنسان وهناك في المقابل فلسفات مادية تناشد فقط الجانب المادي ، ولكن هذه الفلسفات تاهت عن اليقين الذي لمسناه في القرآن والذي يطالب الإنسان بالتعلم لمصلحته المادية ومصلحته الروحية ، هذا يعني أن الإنسان مادة وروح ، ولا يمكن الإكتفاء بأحدهما دون الآخر .

خامساً : الحقيقة واليقين والمعرفة والعلم هي أقصى ما يريد الإنسان الحصول عليه .. فما السبيل القويم إلى ذلك ؟ هل هو الظنون والأوهام والإعتقادات الموجودة في عقول الناس والتي لا أساس لها من الصحة ؟ هذا ما يفسد العقول. إنما السبيل إلى العلم هو التأمل والنظر والتعقل في الوجود والموجودات والقرآن مليء بالآيات التي تدعونا إلى النظر والتأمل ، وهذا ما شهدناه في صفحات البحث .

سادساً : الإعتماد على العقل والرجوع إلى الحكمة في كل خلاف والبعد عن الأهواء والميل إلى الباطل .

سابعاً : عدم متابعة الخيالات والأوهام فيما ليس وراءه علم لأن هناك أشياء لا يعلمها إلا الله – سبحانه وتعالى – ولا طاقة لعقولنا القاصرة بالبحث عنها ، وهنا يجب الإيمان بما جاء به القرآن في هذا الشأن .

ثامناً : البرهان أو الدليل مطلوب في العلم ، إذ يجب علينا أن نبني كل معلوماتنا على أدلة وبراهين كما تعلمنا من القرآن ، كذلك يجب عدم التقليد لما وجد عليه الآباء ، وعدم التحيز والتعصب لآرائهم إن كانوا منحرفين عن جادة الصواب .

تاسعاً : يجب التخلق بأخلاق القرآن والسير على ما جاء فيه ، وذلك لضمان سعادة الدارين كما تعلما من القرآن أن الدنيا دار عمل وتحضير للآخرة التي سنحياها بدون ممات .

عاشراً : الإنسان يعمل بجد للدنيا وهذا مطلوب ، لكن عليه أن يعمل بنفس الدرجة أو أكثر للآخرة ، لأنه علم يقينا أنه يحيى بعد مماته للحساب .. إن الحكم القرآنية إذا تأبى قبول أي فلسفة تقوم على مجرد الظنون ، فالعلم واليقين هو أساسه .

إذا الموضوعات التي شغلت بال الإنسان قديما وحديثا وجدت إهتماما ملحوظا في القرآن وعبر آياته العظيمة وهذا الإهتمام يجعلنا في غنى عن بعض الآراء الخاطئة والمعتقدات الواهية التي جاءت على لسان بعض الفلاسفة ، والتي لا أساس لها من الصحة .

وبناء على ما تقدم أرى أن نهتم أكثر بفلسفتنا القرآنية في مدارسنا وجامعاتنا لأنها السبيل القويم لفهم العالم (الطبيعة أو الكون) ، والإنسان والله ، هذا المثلث يمثل بأضلاعه الثلاث مراد الإنسان من المعرفة ، والتي لا يجد لها مصدراً سوى القرآن ، فتدريس الفلسفة الإسلامية كمرحلة أساسية للفلسفة وعرض آراء فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب في الموضوعات الفلسفية أسلوب جيد ، ومع ذلك أرى أنه من الأفضل أن يكون دارس الفلسفة على علم ودراية بالقرآن الكريم الذي يحمل الجواب الشافي لكثير من مسائل هذا الفرع من المعرفة (الفلسفة) .

وكل صفحات البحث عبارة عن محاولة لفهم العالم والإنسان والله من منظور الفلسفة القرآنية والتي يعجز أي إنسان عن الإحاطة بها لأن القرآن غالب وليس مغلوب لهذا أود أن أشير هنا إلى أن المجال مفتوح أمام غيري من الباحثين لتكملة المسيرة القرآنية ، والنظر إليها من زاوية أخرى لعل

الفائدة تكون أكثر شمولاً ولم نتحصل إلا على النزر اليسير من أسرار القرآن ومعارفه ، فالقرآن كتاب متجدد صالح لكل زمان ومكان وما على الباحث إلا النظر والتأمل في كتاب الله المقروء وما يوضحه كتابه المنظور ليجد الإنسان ضالته التي يبحث عنها ويسعى وراءها وهي (الحكمة) ويجدها في(القرآن).

قائمة المصـــادر والمراجـــــع

- القرآن الكريم – مصحف الجماهيرية – جمعية الدعوة الاسلامية العالمية – طرابلس ، ليبيا – ط 1980م .
- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي – معيار العلم في فن المنطقة – دار الأندلس – بيروت ، لبنان – ط 3 – 1981 م .
- أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – صيد الخاطر – دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض – دار الكتاب العربي – بيروت – ط9 – 2000م .

- أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم – المحدث الدهلوي – حجة الله البالغة – راجعه وعلق عليه محمود طعمه حلبي – دار المعرفة – بيروت ، ط 1997م .
- علي بن محمد بن علي الجرحاني – التعريفات – تحقيق وتقديم ووضع هوامش إبراهيم الإبياري – دار الريان للتراث – بيروت .
- محمد الصابوني – صفوة التفاسير – الجزء الأول والثاني والثالث .
- سعيد بن منصور بن كمونة – الجديد في الحكمة – دراسة وتحقيق حميد مرعي الكبيسي – مطبعة جامعة بغداد – بغداد ، العراق – ط 1982 .
- عباس محمود العقاد – الفلسفة القرآنية – المكتبة العصرية – بيروت ، ط 1947 .
- عدنان الشريف – من علم الفلك القرآني – دار العلم للملايين – بيروت ، ط 30 ، 1995 .
- عمر محمد التومي الشيباني – مقدمة في الفلسفة القرآنية - الدار العربية للكتاب – طرابلس ، ليبيا – ط 3 ، 1982 .
- فوزي محمد حميد – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس ، ليبيا – ط 2 ، 1999 م .
- محمد ابو زهرة – المعجزة الكبرى "القرآن" – دار الفكر العربي – ط 1970 .
- أحمد الشنتناوي وآخرون – دائرة المعارف الإسلامية – دار المعرفة بيروت ، لبنان .
- جميل صليبا – المعجم الفلسفي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت ، لبنان ط 1994.
- مراد وهبة – المعجم الفلسفي – دار الثقافة الجديدة – القاهرة ، مصر ،ط 3، 1979.